

تعزير الفكر الإسلامي والأخلاق وأثره في المجتمع عند الشيخ
الشنقيطي -رحمة الله عليه- من خلال تفسيره " أضواء البيان "

Enhancement of Islamic notions and morality with its consequences on society in views of “Azwa al- Bayan” interpretation of Quran by “Al-Shaikh Al- Shanqeeti”

* أ: عبدالواحد

**د: سميع الله الزبيري

***د: عبدالماجد

ABSTRACT

Almighty Allah has selected Islam as a religion of successful and He gave priority to Islam for humankind among His creatures. There are some important characteristics among which accuracy and reliability in the sources of Islam, likewise certainty in the injunctions of Islam, moreover rulings of Islam have flexibility through which it can be amended with exigencies of the time. Islamic building is totally depending on fairness in secret feelings about Islam and abstract inclination is more important because apparent activities are depending on internal thoughts. Mannerism with ethics has importance because Islam's descend was for completion of moray.

KEYWORDS: *Building up Islamic theories, ethics, Logic with respect to Islamic approach towards internal doctrines in a book known with “Azwa Ul Bayan”, Impact on community*

الحمد لله الذي نصب للحق دليلاً، والصلاة والسلام على النبي الأمين، أعلم الناس بمراد الله تعالى، وعلى صحابته الكرام رضوان الله عليهم وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فالدين الإسلامي الذي

* الباحث بمرحلة الدكتوراه، والأستاذ الزائر في قسم التفسير و علوم القرآن، بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية،
إسلام آباد

** الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة العلامة إقبال المفتوحة،
إسلام آباد

*** الأستاذ المساعد ، قسم الدراسات الإسلامية ، جامعة الأردنو الفيدرالية للفنون والعلوم والتكنولوجيا، إسلام آباد

ارتضاه الله جلّ وعلا لعباده، من أهم خصائصه أنه ثابت في مصادره وأهدافه وضوابطه، ثابت في قيمه، ثابت في أحكامه وتشريعاته، لا يتغير ولا يتبدل، وفيه مرونة وصلاحية لكل زمان ومكان، والفكر السليم هو الأساس الذي يبني عليه القيم الإسلامي، وهو من أهم ما يطلب من الإنسان لكون العمل يتبع الفكر والاعتقاد، فالأعمال الظاهرة لاتنفع الإنسان إذا فسد فكره ومعتقدده، وبدون هذا الأساس تفقد الأخلاق مكانتها وعظم تأثيرها في الإنسان، وله دور وأثر كبير في تسامي العبد خلقيا، فهذا الدين جاء ليتمم مكارم الأخلاق، وقد ركّز البحث على إبراز تعزيز الفكر الإسلامي والأخلاق ببيان أسس الإنسانية من الحرية مع ضوابطها وكرامة الإنسانية وسعادتها، ويتناول البحث تعريف الفكر لغة واصطلاحا، وتعريف الأخلاق لغة واصطلاحا ثم التعريف بالفكر الإسلامي، وكما يتضمن البحث بمعرفة مجالات التغيير في الفكر الإسلامي، وأثرها في الأخلاق الإسلامية، سيكون البحث في صورة مبحثين وخاتمة بمشيئة الله جلّ وعلا.

ويدرس هذا الموضوع من خلال تفسير الشنقيطي . رحمه الله . الذي يعتبر من أجلّ التفاسير المعاصرة، سيكون تقديم البحث في صورة مبحثين وخاتمة.

الكلمات المفتاحية: تعزيز الفكر الإسلامي - مكانة القيم الأخلاق - الوقوف على أسرار دقيقة من ناحية الفكر الإسلامي والأخلاق في " أضواء البيان" - إبراز أسلوب تناول الشيخ الشنقيطي منه - أثره على واقعنا الحالي في المجتمع .

أهمية الموضوع: يعتبر موضوع " تعزيز الفكر الإسلامي والأخلاق " جديرا بالدراسة، إذ تصلح به أمور الإنسان في الدنيا والآخرة، ولما كان التمسك بالأخلاق ومكارمها يستلزم- ضرورة- التخلي عن مذمومها من حيث كونهما ضدان لا يجتمعان، لذلك لا بد من الحرص على إبراز هذه الأخلاق المذمومة التي نهي عنها الشارع الحكيم، وبذلك تتوفر لقارئ هذا البحث قاعدة علمية شاملة تضم الأمرين جميعا: المأمور به والمنهي عنه في القرآن الكريم، وبهذه المعرفة تتعين المعايير الازمة التي تضبط حركة السلوك الإنساني في هذه الحياة، ولأن هذه المعرفة وحدها غير كافية، إذ ينبغي على المؤمن أن يربط القول بالعمل، والمعرفة بالسلوك، بحيث لا يكون القول مجرد كلام لا طائل تحته، وتكون المعرفة مجرد إطار نظري لا فائدة منها، لأن اقتزان القول بالعمل والمعرفة بالممارسة ضابطة إسلامية أقرها القرآن الكريم في قول الله جلّ وعلا:

"يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا

تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾" 1

وقد كانت حياة النبي الكريم- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كلها عبارة عملية لكل ما كان يدعو الناس إليه من مكارم الأخلاق وحميد الصفات فكان - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نموذجا حسنا في عدله ورحمته وبره، وكانت بعثته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جوهرها لإتمام هذا الجانب التطبيقي المتمثل في تسميم مكارم الأخلاق، قولاً وفعلاً، دعوة وممارسة، يقول عليه الصلاة والسلام: "إنما بعثت لأتم صالح الأخلاق" 2، و "إنما بعثت

لأتمم مكارم الأخلاق"³، وربط عليه الصلاة والسلام بين كمال الإيمان وحسن الخلق، فقال: "إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"⁴، ونبه عليه الصلاة والسلام على أهمية سلوك الخير وفعله فقال: "ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق"⁵

خطة البحث

يتضمن البحث تمهيدا وفيه ترجمة موجزة للشيخ الشنقيطي - رحمه الله - والتعريف بتفسيره "أضواء البيان" ومبشرين، البحث الأول يشتمل على بيان مفهوم الفكر الإسلامي والأخلاق ورأي الشيخ الشنقيطي من مفهوم الفكر ومن أسس الأخلاق، والبحث الثاني يشتمل على النماذج التطبيقية من خلال تفسير "أضواء البيان" للشنقيطي - رحمه الله - . وأثر هذا الفكر الإسلامي والأخلاق على واقعنا الحالي في المجتمع .

التمهيد

ترجمة موجزة للشيخ العلامة المفسر محمد الأمين الشنقيطي⁶

قد بيّن عدد من الباحثين ترجمة الشيخ الشنقيطي - رحمه الله -، وذكرت ترجمة الشيخ في نهاية تفسيره "أضواء البيان" أيضا، لذلك لانظيل الكلام فيها،

اسمه ونسبه:

هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح بن محمد بن سيدي أحمد بن المختار، من أولاد الطالب أوبك، الذي هو من أولاد كزير بن المواقي بن يعقوب بن جاكنا الأبر، جد القبيلة المعروفة بالجنكيين، التي يرجع نسبها إلى حمير⁷

مولده ونشأته:

قد ولد الشيخ (رحمه الله) سنة (1325) عند ماء يُسمى (تَنْبَه) من أعمال (كيفا) من موريتانيا، ونشأ الشيخ (رحمه الله) يتيمًا؛ إذ توفي والده وهو صبي صغير لا زال يقرأ في جزء عمّ من القرآن الكريم. فترعرع الغلام في بيت أخواله الذين هم من بني عمومته؛ ذلك أن والدته كانت ابنة عم أبيه، وكان ذلك البيت الذي تربى فيه الشيخ (رحمه الله) يزخر بمزيد من العلم فضلاً عمّا يكتنف تلك البيئة من قطر شنقيط عمومًا من انتشار للعلم وذويه، والأدب وأربابه، والفروسية ورجالاتها، ولما أتم العاشرة من عمره فرغ من حفظ القرآن الكريم على خاله عبد الله بن محمد المختار بن إبراهيم بن أحمد نوح⁸

غزارة علمه وسعة اطلاعه:

حبا الله الشيخ (رحمه الله) ذكاءً مفرطاً، وحافظة نادرة، وهمة عالية، فسخر ذلك كله في تحصيل العلم وجمعه بمختلف فنونه وصنوفه، من عقيدة، وتفسير، وحديث، وأصول، وعربية ...

وكان كلامه في العلم يشد كل من سمعه، حتى يُجِيل للسامع أن الشيخ أفنى عمره في ذلك الفن ولا يُحسن

غيره!⁹

مؤلفاته:

رحز في فروع مذهب مالك (رحمه الله)، يختص بالعقود من البيوع والرهون، وهو يُعد بالآلاف، ألفية في المنطق. نظم في الفرائض، شرح على سُلّم الأخصري في المنطق، الرحلة إلى بيت الله الحرام. طُبِع بعد وفاته بعشر سنوات. منع جواز المجاز في المنزل للتعبُّد والإعجاز، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب.

وفاته:

وقد توفي الشيخ (رحمه الله) ضحى يوم الخميس، السابع عشر من شهر ذي الحجة، عام ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف، في منزله في مكة المكرمة، وقد صلى عليه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم، ودُفن بمقبرة المعلاة بربع الحجون، فرحمه الله رحمة واسعة.¹⁰

المبحث الأول: مفهوم الفكر والأخلاق ورأي الشيخ الشنقيطي عن مفهوم الفكر وعن أسس الأخلاق

من المعلوم أن ما يتطلبه البحث العلمي الدقيق تحديد المصطلحات الموجودة في البحث، لذلك نعرفها أولاً .

وفي هذا المبحث أمور،

الأمر الأول: مفهوم الفكر لغة:

فكر: الفَكْرُ والفَكْرُ: إعمال الخاطر في الشيء؛ قال سيبويه: ولا يجمع الفكر ولا العلم ولا النظر، قال: وقد حكى ابن دريد في جمعه أفكارا. والفكرة: كالفكر وقد فكر في الشيء وأفكر فيه وتفكر بمعنى. ورجل فكير، مثال فسيق، وفكير: كثير الفكر؛ الأخيرة عن كراع. الليث: التفكر اسم التفكير. ومن العرب من يقول: الفكر الفكرة، والفكرى على فعلى اسم، وهي قليلة. الجوهري: التفكر التأمل، والاسم الفكر والفكرة، والمصدر الفكر، بالفتح. قال يعقوب: يقال: ليس لي في هذا الأمر فكر أي ليس لي فيه حاجة، قال: والفتح فيه أفصح من الكسر¹¹

الفكر، بالكسر ويفتح: إعمال النظر في الشيء، كالفكرة والفكرى، بكسرها، ج: أفكار. فكر فيه وأفكر وفكر وتفكر، وهو فكير، كسكيت، وفكير، كصيقل: كثير الفكر ومالي فيه فكر، وقد يكسر، أي: حاجة.¹²

الأمر الثاني: مفهوم الفكر اصطلاحاً:

الفكر: ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول.¹³

الأمر الثالث: رأي الشيخ الشنقيطي عن مفهوم الفكر لغة واصطلاحاً

ذكر الشيخ الشنقيطي في تفسيره عن مفهوم الفكر بقوله: " والتفكر: التأمل والنظر العقلي، وأصله إعمال الفكر، والمتأخرون يقولون: الفكر في الاصطلاح حركة النفس في المعقولات، وأما حركتها في

المحسوسات فهو في الاصطلاح تخييلوقال الزمخشري في «الكشاف»: في أنفسهم، يحتتمل أن يكون ظرفاً كأنه قيل: أولم يحدثوا التفكر في أنفسهم، أي: في قلوبهم الفارغة من الفكر، والفكر لا يكون إلا في القلوب، ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين؛ كقولك: اعتقده في قلبك وأضمرة في نفسك وأن يكون صلة للتفكر كقولك: تفكر في الأمر أجال فيه فكره". 14

الأمر الرابع: مفهوم الأخلاق

والخلق، بالضم وبضمين: السجية والطبع، والمروءة والدين. 15

أخلاق وهو حسن النقيبة: أي جميل الخليقة. 16

الخلق: المروءة، والخلق: الدين وفي التنزيل: وإنك لعلى خلق عظيم والجمع أخلاق 17

الخلق: بضم أوله وثانيه، صفة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بغير تكلف، ج أخلاق 18 ... ومفهوم الأخلاق بهذا في غاية الأهمية في الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، لأنه يعتبر السند الذي يعتمد عليه في إقامة النظام الخلقي وفي عملية الالتزام به، فبدون هذا الأساس تفقد الأخلاق قدسيته وعظم تأثيرها في الإنسان، ولا يمكن أن تطبق الأخلاق تطبيقاً عملياً دقيقاً في السر والعلن إلا إذا اتخذ هذا الأساس في قلوب البشر مكاناً، وآمنوا به إيماناً صادقاً .

الأمر الخامس: رأي الشيخ الشنقيطي عن أسس الأخلاق

ذكر الشيخ الشنقيطي في تفسيره أربعة أسس أخلاقية، ونقل إجماع العلماء على هذا بقوله: " .. اتفق علماء الاجتماع أن أسس الأخلاق أربعة: هي: الحكمة، والعفة، والشجاعة، والعدالة. ويقابلها رذائل أربعة: هي الجهل، والشرة، والجبن، والجور. ويتفرع عن كل فضيلة فروعها: الحكمة: الذكاء وسهولة الفهم، وسعة العلم. وعن العفة: القناعة، والورع، والحياء، والسخاء، والدعة، والصبر، والحرية. وعن الشجاعة: النجدة، وعظم الهمة. وعن السماحة: الكرم، والإيثار، والمواساة، والمساحة. أما العدالة - وهي أم الفضائل الأخلاقية - فيتفرع عنها: الصداقة، والألفة، وصلة الرحم، وترك الحقد، ومكافأة الشر بالخير، واستعمال اللطف. فهذه أصول الأخلاق وفروعها، فلم تبق خصلة منها إلا وهي مكتملة فيه - صلى الله عليه وسلم - وقد برأه الله من كل رذيلة، فتحقق أنه - صلى الله عليه وسلم - على خلق عظيم، فعلاً وعقلاً.. " 19

المبحث الثاني: النماذج من تفسير " أضواء البيان " بشأن الفكر الإسلامي والأخلاق عند

الشيخ الشنقيطي.

المثال الأول، قال الله جل وعلا:

"هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" 20

يقول الشيخ الشنقيطي تحت هذه الآية الكريمة: " ثم تأتي لموقف فريقين متقابلين فريق المؤمنين، والكافرين .

يتمثل الفريق الأول في المهاجرين والأنصار وما كانوا عليه من أخوة، ومودة، ورحمة، وعطاء، وإيثار على النفس.

ويتمثل الفريق الآخر في المنافقين، واليهود، وما كان بينهم من مواعدة، وإغراء، وتحريض، ثم تخل عنهم وخذلان لهم.

فكان في ذلك تصوير لحزبين متقابلين متناقضين حزب الرحمن، وحزب الشيطان، وهي صورة المجتمع في المدينة آنذاك.

ثم تأتي إلى مقارنة أخرى بين نتائج هذين الحزبين ومنتهاهما وعدم استوائهما، وفي ذلك تقرير المصير: لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ²¹.

وهذه أخطر قضية في كل أمة أي: تقرير مصيرها، ثم بيان حقيقة تأثير القرآن وفعاليتها في المخلوقات، ولو كانت جبلا أشم أو حجرا أصم لو أنزل عليه لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله، فإذا بها قد اشتملت على موضوع الخلق والخالق، والأمة والرسالة، والبدء والنهاية، وصراع الحق مع الباطل، والكفر والإيمان، والنفوس في الشح والإحسان، وكلها مواقف عملية ومناهج واقعية وأمثلة بيانية، " وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون " ²²

فإذا ما توجه الفكر في هذا العرض، وتنقل من موقف إلى موقف، وتأمل صنع الله وقدرته وآياته، نطق بتسبيحه، وعلم أنه سبحانه هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة، علم ما سيكون عليه العالم قبل وجوده، فأوجده على مقتضى علمه به، وسيره على النحو الذي أوجده عليه، علم خذلان المنافقين لليهود قبل أن يجرؤهم، فكان كما علم سبحانه وحذر من مشابهمهم، وعلم أنه لو أنزل القرآن على جبل ماذا يكون حاله، فحث العباد بالأخذ به، ولعلمه هذا بالغيب والشهادة، كان حقا هو الله وحده. ²³

الحاصل من كلام الشيخ الشنقيطي أن الأمر الأساسي الذي يؤدي دورا مهما في حياة الإنسان كونه صاحب فكر سليم أم فكر خاطئ، كونه صاحب فكر رحماني فيتصف بصفات حسنة وينشر بين المجتمع من أخوة، ومودة، ورحمة، وعطاء، وإيثار على النفس، أم صاحب فكر شيطاني فينشر في المجتمع من مواعدة، وإغراء، وتحريض وشح وخذلان، فيما يدخل في حزب الرحمان وإما يدخل في حزب الشيطان، وبهذا ينقسم في صنفين من الباطل أو الحق، الإيمان والكفر، فكل هذه مواقف عملية ومناهج واقعية وأمثلة بيانية، كقوله تعالى " وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون " وعلى هذا يواجه الإنسان بأمرين معارضين متناقضين، كقوله عز وجل: " لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة "، إذن تترتب النتيجة على فكر كل إنسان من الفوز والفشل .

المثال الثاني، قال الله جل وعلا:

"وَأَلْقَى مَا فِي بَيْتِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاجِرٍ وَلَا يَفْلَهُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَى " ²⁴

يقول الشيخ الشنقيطي تحت هذه الآية الكريمة: " وقد أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأمرين: إما لتمييز ما فيه كفر من غيره. وإما لإزالته عن وقع فيه، فأما الأول: فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد، فإذا سلم الاعتقاد فمعرفة الشيء بمجردة لا تستلزم معاً. كمن يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان للأوثان. لأن كيفية ما يعلمه الساحر إنما هي حكاية قول أو فعل، بخلاف تعاطيه، والعمل به . وأما الثاني: فإن كان لا يتم كما زعم بعضهم إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلاً، وإلا جاز للمعنى المذكور...، إذ ليس لأحد أن يبيح ما صرح الله بأنه يضر، ولا ينفع، مع أن تعلمه قد يكون ذريعة للعمل به، والذريعة إلى الحرام يجب سدها ²⁵

الحاصل من كلام الشيخ الشنقيطي أنه يحكم على جهة اعتقاد الإنسان وفكره، إن سلم الفكر والاعتقاد فتصح المعرفة عن السحر وإلا فلا يجوز تعلم السحر، فيجوز تعلم السحر لتمييز بين الكفر وغيره وإزالة السحر عن وقع فيه، وبالتالي إذا صح الفكر يصح العمل وإذا فسد الفكر يفسد به العمل .

المثال الثالث، قال الله جل وعلا:

" حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمْنَا مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " ²⁶

يقول الشيخ الشنقيطي تحت هذه الآية الكريمة: " .. والسؤال المذكور سؤال توبيخ وتقرير، فقد ونجهم تعالى فيه على فساد الاعتقاد، وفساد الأعمال، والتوبيخ عليهما معاً المذكور هنا جاء مثله في قوله تعالى: " فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى " ^{27 28} .

الحاصل من كلام الشيخ الشنقيطي أن الله تعالى وبخ الكفار وزجرهم من أجل فساد الفكر والاعتقاد وفساد الأعمال.

المثال الرابع، قال الله جلّ وعلا:

" إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا " ²⁹

ذكر الشيخ الشنقيطي تحت هذه الآية الكريمة كلاماً بليغاً أصولياً مقاصدياً، والذي يدور تماماً عن يسر الإسلام وسماحته وخلقه العظيم ومحسن العادات بقوله: "...وتشريع الحكيم الخبير جل وعلا مشتمل على جميع الحكم من درء المفسدات وجلب المصالح، والجري على مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات، ولا شك أن من أقوم الطرق معاقبة فظيعة الجناية بعظيم العقاب جزاءً وفاقاً. ³⁰

وكل هذا يستنبطه الشيخ الشنقيطي بمقاصد الشريعة من الآية الكريمة بقوله: " . المصالح التي عليها مدار الشرائع ثلاثة:

الأولى: درء المفسدات المعروف عند أهل الأصول بالضروريات.

والثانية: جلب المصالح، المعروف عند أهل الأصول بالحاجيات.

والثالثة: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، المعروف عند أهل الأصول بالتحسينيات والتميمات. وكل هذه المصالح الثلاث هدى فيها القرآن العظيم للطريق التي هي أقوم الطرق وأعد لها.³¹ ثم يفصل الشيخ الشنقيطي كلا من هذه المصالح الثلاثة المتعلقة بمكارم الأخلاق بقوله:

"فالضروريات التي هي درء المفسدات إنما هي درؤها عن ستة أشياء الأول: الدين، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعد لها، كما قال تعالى: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله"³²، وفي سورة الأنفال: "ويكون الدين كله لله" (الآية 39)، وقال تعالى: تقاتلوهم أو يسلمون³³، وقال صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله"³⁴، وقال صلى الله عليه وسلم: "من بدل دينه فاقتلوه"³⁵ إلى غير ذلك من الأدلة على المحافظة على الدين.

والثاني: النفس، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليها بأقوم الطرق وأعد لها، ولذلك أوجب القصاص درءاً للمفسدة عن النفس، كما قال تعالى: ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب الآية³⁶، وقال: كتب عليكم القصاص في القتلى الآية³⁷، وقال: ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا الآية³⁸.

الثالث: العقل، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعد لها، قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه - إلى قوله - فهل أنتم منتهون³⁹، وقال صلى الله عليه وسلم: «كل مسكر حرام»⁴⁰ وقال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»⁴¹..

الرابع: النسب، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعد لها، ولذلك حرم الزنى وأوجب فيه الحد الرادع، وأوجب العدة على النساء عند المفارقة بطلاق أو موت، لئلا يحتلط ماء رجل بماء آخر في رحم امرأة محافظة على الأنساب؛ قال تعالى: ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا⁴²

الخامس: العرض، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعد لها، فمنهى المسلم عن أن يتكلم في أخيه بما يؤذيه، وأوجب عليه إن رماه بفرية حد القذف ثمانين جلدة، قال تعالى: "ولا يعتب بعضكم بعضاً"⁴³، وقال: "ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون"⁴⁴ وقال في إيجاب حد القاذف: والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا الآية⁴⁵.

السادس: المال، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعد لها، ولذلك منع أخذه بغير حق شرعي، وأوجب على السارق حد السرقة وهو قطع اليد كما تقدم، قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم⁴⁶، وقال: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله"⁴⁷، وكل ذلك محافظة على المال ودرءاً للمفسدة عنه.⁴⁸

فهذه الأشياء الستة ضرورة كل إنسان لدفع الضرر عن نفسه، والآن يذكر الشيخ الشنقيطي مصلحة ثانية متعلقة بإباحة جلب المصالح الدائرة بين أفراد المجتمع بقوله:

المصلحة الثانية: جلب المصالح، وقد جاء القرآن بجلب المصالح بأقوم الطرق وأعد لها، ففتح الأبواب لجلب المصالح في جميع الميادين، قال تعالى: فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله⁴⁹.

ولأجل هذا جاء الشرع الكريم بإباحة المصالح المتبادلة بين أفراد المجتمع على الوجه المشروع، ليستجلب كل مصلحته من الآخر، كالبيوع والإجازات والأكرية والمساقاة والمضاربة، وما جرى مجرى ذلك.⁵⁰

ثم ذكر الشيخ الشنقيطي تحت الآية الكريمة مصلحة ثالثة متعلقة بمكارم الأخلاق الفاضلة بقوله:

"المصلحة الثالثة: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، وقد جاء القرآن بذلك بأقوم الطرق وأعد لها، والحض على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات كثير جدا في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولذلك لما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم قالت: «كان خلقه القرآن»⁵¹ لأن القرآن يشتمل على جميع مكارم الأخلاق؛ لأن الله تعالى يقول في نبيه صلى الله عليه وسلم: وإنك لعلى خلق عظيم⁵².

فدل مجموع الآية وحديث عائشة على أن المتصف بما في القرآن من مكارم الأخلاق: أنه يكون على خلق عظيم، وذلك لعظم ما في القرآن من مكارم الأخلاق فمن ذلك قوله تعالى: " وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم"^{53 54}.

الحاصل من كلام الشيخ الشنقيطي أن كل هذه الآيات الكريمة تدل على حث مكارم الأخلاق من الأمر بالعفو والنهي عن نسيان الفضل، والأمر بأن تعامل من عصى الله فيك بأن تطيعه فيه، والأمر بالإحسان إلى المحتاجين والضعفاء، وهناك آيات تدل على ما يدعو إليه القرآن من مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات، وكما تدل الآية الكريمة بإباحة المصالح المتبادلة بين أفراد المجتمع على الوجه المشروع، ولذلك مما يجب على الأمة معرفة تفصيل هذه الأخلاق القرآنية، ولذا قد أخذت قضية الأخلاق خاصة محل الصدارة من مباحث الباحثين، وتقرير المرشدين، وهي بالنسبة للعموم أساس قوام الأمم، وقد أجمل - عليه الشلاة والسلام - البعثة كلها في مكارم الأخلاق في قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

والذي يتأمل في هدي القرآن يجد مبدأ الأخلاق في كل التشريعات حتى العبادات، ففي الصلاة خشوع وخضوع وسكينة ووقار، فأتوها وعليكم السكينة والوقار، وفي الزكاة مروءة وكرم، وفي الصيام: "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"⁵⁵، وفي الحج: فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج.

وفي الأمور الاجتماعية خوطب - صلى الله عليه وسلم - بأعلى درجات الأخلاق، ففي هذه التعليمات القرآنية وبتمسكها صلاح المجتمع وسلامته وتقدمه.

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، وبعد!

فهذا ماتيسر لي في هذا البحث المتواضع، ومن خلال دراسة موضوع تعزيز الفكر الإسلامي والأخلاق وأثره في المجتمع في تفسير " أضواء البيان " للشنقيطي - رحمه الله - ظهرت نتائج، وإني أوجز إليها في النقاط الآتية:

1. اعتبر الشيخ الشنقيطي الفكر السليم الإسلامي ومكارم الأخلاق ظاهرة كونية وحقيقة شرعية دون شك.
2. ذكر الشيخ الشنقيطي أن الآيات القرآنية تدل على حث مكارم الأخلاق من الأمر بالعرفو والنهي عن نسيان الفضل والأمر بالإحسان إلى المحتاجين والضعفاء .
3. جعل الشيخ الشنقيطي مبدأ الأخلاق من هدي القرآن في كل التشريعات .
5. جعل الشيخ الشنقيطي الشدة والعنف منافي سماحة الإسلام ويسره، ومنافي ملاءمته للغريزة البشرية.
6. جعل الشيخ الشنقيطي مكارم الأخلاق أساس قوام الأمم .
7. قد ذكر الشيخ الشنقيطي أسراراً دقيقة في تفسيره من ناحية الفكر الإسلامي والأخلاق. نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من أهل الأفكار السليمة والأخلاق الحسنة والاستقامة وأن يبعثنا عن طريق سبب الأخلاق وأن يهدي كل من ضل من المسلمين والإنسانية إلى الدين الإسلامي .
وصلى الله وبارك وسلم على سيدنا ونبينا محمد وسلم تسليماً كثيراً .

الهوامش والمصادر

- 1- سورة الصف: 61/ 2-3
- 2- أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسي العبسي، المصنف في الأحاديث والآثار، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، 1409، 324/6
- 3- أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العنكي المعروف باليزار، مسند اليزار المنشور باسم البحر الزخار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م)، 364/15
- 4- أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي، الجامع في الحديث لابن وهب، المحقق: د مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، أستاذ الحديث وعلومه المساعد - كلية أصول الدين - القاهرة، الناشر: دار ابن الجوزي - الرياض، الطبعة: الأولى 1416 هـ - 1995 م، ص: 584
- 5- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السنجستاني، السنن، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 253/4
- 6- قد جمعت ترجمة موجزة للشيخ عن كتب عديدة، منها: مدخل إلى مشروع "آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي" (وهو فاتحة التقديم لـ "أضواء البيان" ضمن "آثار الشيخ الشنقيطي" المؤلف: بكر أبو زيد - علي العمران - خالد السبت، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1426 هـ، عدد الأجزاء: 1، ص: 19 - 39 . و أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، ترجمة للشيخ رحمه الله، في محاضرة أقيمت موسم ثقافات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ألقاها وأعداها تلميذه عطية محمد سالم، عن صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله، بقلم: الشيخ عطية محمد سالم القاضي بالمحكمة الشرعية بالمدينة، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان، عام النشر: 1415 هـ - 1995 م
- 7- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشرة - أيار / مايو 2002م، 45/6
- 8- ترجمة للشيخ " الشنقيطي " رحمه الله، ألقاها وأعداها تلميذه عطية محمد سالم، عن صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله، بقلم: الشيخ عطية محمد سالم القاضي بالمحكمة الشرعية بالمدينة، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: 1415 هـ - 1995 م، 488/9
- 9- بكر بن عبد الله، طبقات النسابين، ص: 198 .
- 10- بكر أبو زيد - علي العمران - خالد السبت، مدخل إلى مشروع آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1426 هـ، ص: 19 - 39 .
- 11- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظر الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت، 1414 هـ، 65/5
- 12- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقشوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م، 458/4

- وينظر: المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر / محمد النجار، ط: دار الدعوة، ج: 2، ص: 698
- 13- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م، ص: 168
- 14- شنقيطي، أضواء البيان، 168/6
- 15- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426هـ - 2005م، 881/1
- 16- محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، 296/4
- 17- المرجع السابق، 257/25
- 18- محمد رواس قلنجي - حامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، الناشر: دار الفنائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1988م، ص: 199.
- 19- شنقيطي، أضواء البيان، 248/8
- 20- سورة الحشر: 22 /59
- 21- سورة الحشر: 20 /59
- 22- سورة الحشر: 21 /59
- 23- شنقيطي، أضواء البيان، 75/8
- 24- سورة طه: 69/20
- 25- شنقيطي، أضواء البيان، 57/4
- 26- سورة النمل: 84/27
- 27- سورة القيامة: 31/75 - 32
- 28- شنقيطي، أضواء البيان، 143/6
- 29- سورة الإسراء: 9/17
- 30- شنقيطي، أضواء البيان، 37/3
- 31- شنقيطي، أضواء البيان، 38/3
- 32- سورة البقرة: 193/2
- 33- سورة الفتح: 16/48
- 34- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، 14/1
- 35- محمد بن إسماعيل بخاري، الجامع الصحيح، 61/4
- 36- سورة البقرة: 179/2
- 37- سورة البقرة: 178/2
- 38- سورة الاسراء: 33/17

- 39- المائة: 90/5-91
- 40- محمد بن اسماعيل بخارى، الجامع الصحيح، 5/161
- 41- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السنجستاني، السنن، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 3/327
- 42- سورة الإسراء: 17/32
- 43- سورة الحجرات: 49/12
- 44- سورة الحجرات: 49/11
- 45- سورة النور: 24/4-5
- 46- سورة النساء: 4/29
- 47- سورة المائدة: 5/38
- 48- شنقيطي، أضواء البيان، 3/39
- 49- سورة الجمعة: 62/10
- 50- شنقيطي، أضواء البيان، 3/40
- 51- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421هـ، 2001م، 41/148
- 52- سورة القلم: 68/4
- 53- سورة البقرة: 2/237
- 54- شنقيطي، أضواء البيان، 3/47-50
- 55- محمد بن اسماعيل بخارى، الجامع الصحيح، 3/26